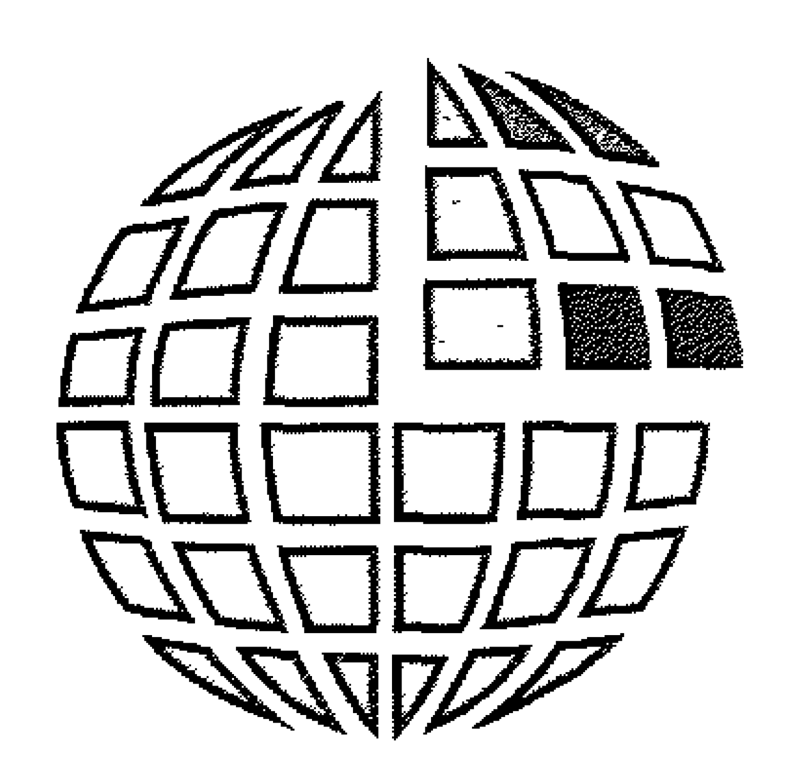
سلسلة
محاضرات
الإمارات
30



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية
The Emirates Center for Strategic Studies and Research

بسم الله الرحمن الرحيم

تأسس مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في 14 آذار/ مارس 1994، كمؤسسة مستقلة تهتم بالبحوث والدراسات العلمية للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، المتعلقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج العربي على وجه التحديد، والعالم العربي والقضايا الدولية المعاصرة عموماً.

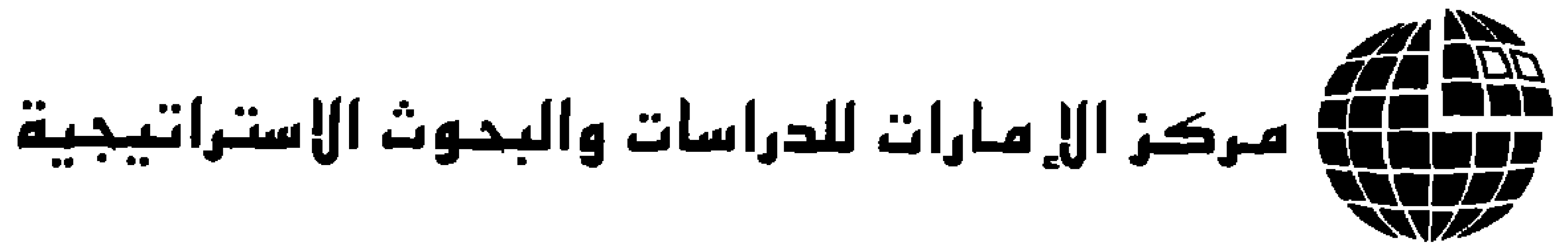
من هذا المنطلق يقوم المركز بإصدار «**سلسلة محاضرات الإمارات**» التي تتناول المحاضرات، والندوات، وورش العمل المتخصصة التي يعقدها المركز ضمن سلسلة الفعاليات العلمية التي ينظمها على مدار العام ويدعو إليها كبار الباحثين والأكاديميين والخبراء؛ بهدف الاستفادة من خبراتهم، والاطلاع على تحليلاتهم الموضوعية المتضمنة دراسة قضايا الساعة ومعالجتها. وتهدف هذه السلسلة إلى تعميم الفائدة، وإثراء الحوار البنَّاء والبحث العلمي والارتقاء بالقارئ المهتم أينما كان.

سلسلة محاضرات الإمارات

ـ 30 ـ

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

تصدر عن



محتوى المحاضرة لا يعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز

ألقيت هـذه المحاضرة يوم الاثنين الموافق 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 1997

الطبعة الأولى 1999

توجه المراسلات إلى رئيسة التحرير على العنوان التالي :

سلسلة محاضرات الإمارات ـ مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ص . ب : 4567

أبوظبي ـ دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف : 722776 - 9712 +

فاكس : 769944 - 9712 +

e-mail: pubdis@ecssr.ac.ae

http://www.ecssr.ac.ae

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

مقدمة

إذا كان مصطلح العولمة جديداً، فإن عملية العولمة ذاتها قائمة منذ قرون طويلة. وتركز معظم الكتابات المعاصرة على العولمة في سياقاتها الاقتصادية أو التقنية أو المعلوماتية؛ ولكن في حقيقة الأمر فإن العولمة قبل أن تكون عولمة تقنية أو معلوماتية كانت قبل ذلك بكثير عولمة ثقافية. وهي في جوهرها توسع المعايير الاجتماعية ـ الثقافية لتصبح عالمية؛ بمعنى أن الهويات والولاءات أخذت تتعولم.

ويمكننا القول إن العولمة الثقافية بدأت مع الديانات الكونية، وأكثر هذه الديانات طموحاً الإسلام والمسيحية؛ إذ اعتبرت كل ديانة من هاتين الديانتين أنها جاءت إلى البشرية جمعاء، كما سعت هاتان الديانتان إلى أن يعتنق أهل الأرض جميعاً عقائدهما.

طورت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية كجزء من عولمتها الثقافية، تعاليم مركزية تتجسد في شخص واحد، بحيث تركز على البابا كمسؤول بدلاً من الفاتيكان كمكان. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، والكنيسة الأرثوذكسية الروسية، بل والكنيسة الأسقفية البروتستانتية والكنيسة الإنجليزية، إذ طورت جميعها مركزية شخصية تتركز السلطة بموجبها في شخص ما من ذوي المقام العالي.

ويكمن جزء من عولمة الإسلام الثقافية في المركزية المكانية، حيث تم التركيز على الأهمية الروحية لبعض الأماكن أكثر من التركيز على سلطة الأفراد. كما تعد الأهمية المطلقة لمكة المكرمة في الدين الإسلامي عقيدة

وشعائر من أهم الأدلة على كيفية توظيف الإسلام للمكان الباقي، وليس الإنسان الفاني، كبؤرة للعولمة الثقافية.

ولأن الإسلام ركز على استمرارية المكان؛ فإن سعيه إلى الوحدة في حد ذاته كان متواصلاً غير منقطع. ولأن الغرب المسيحي قد عوّل على الشخصيات الكهنوتية المعولمة من البابا وحتى أسقف كانتربري، فإن التعددية في العالم المسيحي كان متقطعة.

التوحيدية الملكية والثالوث التعددي

من الناحية التاريخية كانت هناك صلة - رمزية أحياناً وتحررية أحياناً أخرى - بين جلال الإله ورفعة الملوك في الأرض. إذ ادعى بعض الملوك في بعض المجتمعات أنهم آلهة، بدءاً بفراعنة مصر القديمة وحتى إمبراطور اليابان قبل عام 1945. ومن ناحية أخرى، سعت الديانات التوحيدية إلى جعل الإله ملكاً، وجعله ملك الملوك، وأظهرت الملائكة كمخلوقات مطيعة. كما يتحدث المسيحيون عادةً عن مملكة الله، ولكنهم يؤكدون على أن كلمات المسيح عليه السلام «أنها ليست من هذا العالم». كما يشير القرآن الكريم إلى الله على أنه ﴿ملك الناس﴾. أما التوراة والعهد القديم فيتحدثان عن غضب الله جل جلاله، وعن رحمته وعدله. قال عيسى عليه السلام لصهيون «إلهك ملك» (عيسى 7:52).

إن ما نشاهده في تاريخ النظرية الملكية هي الصلة بين الملكية والألوهية. لقد ادعى الملوك البريطانيون أن الله قد بارك تتويجهم ملوكاً لعدة قرون، بما في ذلك القرن الحالي. كما أن المفاهيم التوحيدية قد وضعت الله بالمقابل

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

على العرش. وقد كانت الصلة بين الدين والملكية أن الملوك قد ادعوا أنهم آلهة، وأن هناك تصوراً بأن الله ملك.

إذا كانت هناك صلة فعلية بين العقيدة الدينية والعقيدة الملكية، فإن لنا أن نتساءل: هل هناك صلة بين العقيدة الدينية والنظرية الديمقراطية؟ لقد رأى البعض أن الصلة تتمثل في بروز البروتستانتية في العالم الغربي وفي اضمحلال الطبقة الكهنوتية. ولكن، هل كانت تلك بداية العملية الديمقراطية في الغرب؟

وعلى النقيض من ذلك، لم يكن للإسلام السني أية طبقة كهنوتية. ولكن، لماذا لم تكن العقيدة الإسلامية أكثر ملاءمة لميلاد الديمقراطية الليبرالية؟ كما رأى البعض أن هناك صلة بين الديمقراطية الليبرالية وبروز الرأسمالية. ولكن، لنا أن نقول إن النبي محمداً ﷺ هو المؤسس الوحيد لديانة عالمية عظيمة بعد أن كان تاجراً يشارك زوجته في تجارتها. أما المسيح عليه السلام فقد فرق جموع التجار من المعبد بسوطه، محدداً فرقاً واضحاً بين مكان التجارة ومكان العبادة (ماثيو 21:12-13). وكان مما قاله المسيح: «إنه لأسهل للجمل أن يدخل من عين الإبرة من أن يدخل الغني مملكة الله» (ماثيو 19:25). كان هذا الجانب من العقيدة المسيحية نافراً من الرخاء وجمع الثروة. ولكن، إذا كانت المسيحية أقل وداً للتجارة من الإسلام على مدى القرون الماضية، فلماذا لم يكن الإسلام أكثر ملاءمة من المسيحية لميلاد الرأسمالية والتحررية الاقتصادية؟

هناك جانب آخر من العقيدة الدينية الذي لابد من استكشافه، وخاصة من حيث علاقته بالنظرية الليبرالية والديمقراطية؛ وهو العلاقة بين التعددية

الدينية والتعددية السياسية. ويكمن ضمن هذه المظلة الواسعة النطاق السؤال الجوهري حول ما إذا كانت العقيدة التوحيدية التي جاءت بها المسيحية تؤمن في جوهرها بالتعددية.

في التاريخ الأوربي، عندما كان الحق الإلهي للملوك سائداً، كانت الهيئة الملكية في أسمى صورها تتمثل في (الإله الأب)، وهو إله العدل ذو القوة، وذو البطش أحياناً. ولكن عقائدياً، كان هناك (الإله الابن) الذي حاول أن يكون له تعبير سياسي، و(الإله الروح القدس) الذي كان يسعى إلى دور دنيوي. وفي الوقت الذي كان ملوك أوربا يؤكدون فيه على أن الله بارك تتويجهم، لم يكن قصدهم أنهم يتضرعون إلى إله التسامح والمحبة، ولكن إلى إله القوة والعدالة.

إن الذي جعل المسيحية الأوربية في نهاية المطاف أكثر ملاءمة للتعددية الدنيوية إنما هي الأسس العقائدية للتعددية الإلهية. ومن بين عوامل أخرى، فإن مبدأ الثالوث المقدس جزء لا يتجزأ من ظهور السلطة اللامركزية ومثالية التعددية في الفكر الغربي؛ إذ يميز الثالوث المقدس بين الإله الأب والإله الابن والإله الروح القدس، فالثالوث المقدس إنما هو إله يقوم على التعددية. وثمة نظام للموازين الإلهية؛ فالإله الأب هو إله القوة (ربما مثلما هو الأمر في اليهودية والإسلام)، أما الإله الابن فهو إله المحبة والحلم، بينما الروح القدس هو إله الهداية والتوجيه.

وقد أكدت فترات من التاريخ المسيحي على أن إله القوة في العهد القديم قادر على الانتقام والبطش، أما الفترات التي كان فيها إله القوة في أسمى صوره فهي فترات التعصب الديني، ولنتذكر هنا محاكم التفتيش وحرق المنشقين عن العقيدة.

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

كما لم يظهر الإله الأب أو إله القوة غير حليم فحسب، بل ظهر عقيماً أيضاً؛ إذ يخلق هذا الإله مخلوقات لكي تعبده ليل نهار. ولعل ذلك يشبه الأب عند البشر، والذي يُرزق بأبناء لمجرد أن يطيعوه يوماً ما ليل نهار.

يعتبر جون ميلتون، مؤلف الفردوس المفقود، ثاني أعظم شعراء اللغة الإنجليزية بعد وليم شكسبير، وهو يصور عصيان الشيطان لإله القوة عصياناً بطولياً إلى حد ما. ورغم أن إبليس خلق في البداية كأحد الملائكة، فقد تململ من طاعة خالقه وقراءة التراتيل لعظمته. وكان هذا الملَك مستعداً للثورة ضد القوة الإلهية ذات العظمة، ذلك الإله الذي يسعى إلى المديح على الدوام. ولذلك، فإن ميلتون يُظهر إبليس في بداية الأمر كبطل يقود عصياناً يؤدي إلى إخراجه من الجنة. ولعل أهم بيت سياسي في القصيدة كلها هو قوله: «من الأفضل أن تحكم في الجحيم على أن تخدم في الجنة». ويقصد بذلك أنه من الأفضل أن تحكم نفسك في الجحيم على أن تكون عبداً في الجنة.

أعجب هذا المفهوم أحد القوميين الأفارقة خلال الحقبة الاستعمارية إلى الحد الذي قام بتغيير اسمه، ليس إلى إبليس أو الشيطان، ولكن إلى ميلتون. هذا القومي الأفريقي هو أبولو أبوتي من أوغندا. لقد أعجبت هذا الصبي المسيحي فكرة الشاعر جون ميلتون بأنه من الأفضل لك أن تكون سيد نفسك في الجحيم على أن تكون عبداً في الجنة، مما حدا به إلى تغيير اسمه إلى أبولو ميلتون أبوتي، وعادة ما يُختصر إلى ميلتون أبوتي.

ولكن عندما كانت أطراف الثالوث المقدس الثلاثة: إله القوة وإله المحبة وإله الهداية متوازنة، بدأت أوربا المسيحية تتحرر داخلياً. وساهمت ثقافة

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

التعددية الإلهية في إثراء ثقافة التعددية السياسية، فيما كانت الديمقراطية الليبرالية في طريقها. كما ساهمت الحركة الإصلاحية البروتستانتية في خلق ثقافة تعددية اقتصادية، فيما كانت الرأسمالية في طريقها إلى الظهور.

إن تفكيراً من هذا النمط يوحي بأن تطور الديمقراطية الليبرالية في العالم الغربي ليس مجرد إرث من اليونان القديمة وأساطير أثينا الديمقراطية؛ إذ إن الديمقراطية الليبرالية في الغرب هي وليدة المسيحية الأوربية، التي تعود إلى تعددية الثالوث المقدس والأثر اللاحق لحركة الإصلاح البروتستانتية.

عندما كان إرث إله القوة في أسمى صوره في التاريخ الأوربي، لم تكن الأنظمة السياسية متسامحة؛ فالملكيات المطلقة جاءت في صورة الإله الأب، وادعت أن الإله الأب قد بارك تتويجها. وقد لجأت الكنيسة أحياناً إلى محاكم التفتيش، ولكن عندما كان إله القوة (الأب) وإله المحبة (الابن) وإله الهداية (الروح القدس) أكثر توازناً، كانت التعددية السياسية في طريقها.

كما أخرجت الفلسفة السياسية الغربية ثالوثاً آخر - الأوتوقراطية (حُكم الفرد المطلق)، والأرستقراطية (حكم الأقلية)، والديمقراطية (حكم الشعب). وقد حاول النظام السياسي البريطاني أن يوجد توافقاً بين الأوتوقراطية (الملك) والأرستقراطية (مجلس اللوردات) والديمقراطية (مجلس العموم). وقد استمرت هذه الأطراف الثلاثة في الحكم البريطاني حتى يومنا هذا. أما النظام السياسي الأمريكي فقد جاء بثالوث آخر - الهيئة التنفيذية (الرئاسة)، والهيئة التشريعية (الكونجرس)، والهيئة

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

القضائية (المحاكم وأعلاها المحكمة العليا). وقد تطور نظام دستوري مفصل من القوانين يقوم على الفصل بين السلطات.

ومن المفارقة أن الديمقراطية الغربية اختارت أن تصبح علمانية أكثر فأكثر، رغم أن التعددية السياسية الغربية هي في جزء منها وليدة التعددية الدينية. وقد اختار دستور الولايات المتحدة الأمريكية أن يكون متعصباً في فصل الكنيسة عن الدولة؛ إذ لم يسمح بالصلاة في أي مدرسة حكومية، أو حتى في مدرسة خاصة تتلقى دعماً مالياً مكثفاً من الحكومة.

أما التعددية الاقتصادية (وليدة حركة الإصلاح البروتستانتية) فقد أضحت هي الأخرى علمانية أكثر فأكثر؛ إذ أصبحت السوق هي الإله، يد الهداية الخفية. وبينما يستخدم الأفراد المتدينون عبارة "إن شاء الله"، فإن الرأسماليين المتطرفين يستخدمون عبارة "إن شاءت السوق".

إن التعددية السياسية والاقتصادية في الغرب هي وليدة التعددية اللاهوتية ولو جزئياً. ولكن التعددية الأوربية بجانبيها السياسي والاقتصادي قد تخلت بصورة أو بأخرى عن اللاهوت. ولكن لماذا استمرت الديمقراطية التعددية بصورة أفضل في جمهورية الهند مقارنة بباكستان وبنجلادش؟ لابد من أن هناك بعض الأسباب وراء هذا الفرق، ولكن هل يكون أحد الأسباب أن مفهوم "الإله" في الهندوسية مفهوم تعددي، بينما مفهوم "الله" في باكستان وبنجلادش مفهوم توحيدي. أما في جنوب آسيا، فهل ما نشاهده من ارتباط التعددية اللاهوتية باستمرار هو التعددية السياسية؟ ولكن التعددية الديمقراطية الهندية - في دستورها على أقل تقدير - قد سعت إلى أن تكون علمانية، محاولة أن تفصل نفسها عن أسس التعددية اللاهوتية.

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

التوحيد مصدر النظام

ولكن، ماذا لو استعملنا التعددية ليس لاختبار الفضيلة الكامنة في الغرب ولكن لاختبار الرذيلة الكامنة فيه؟ هل يمكن أن يكون الإسلام متأخراً ومنقوصاً مقارنة بالغرب؟ كان الإسلام في القرن العشرين على الدوام واحة ملائمة للديمقراطية وفضائلها الكامنة. من ناحية أخرى، كانت الثقافة الإسلامية أقل استعداداً للرذيلة الكامنة في النازية والفاشية والشيوعية مقارنة بالثقافة المسيحية (ألمانيا وإيطاليا وروسيا)، والثقافة البوذية (اليابان قبل الحرب العالمية الثانية وكمبوديا في عهد بول بوت) أو الثقافة الكنفوشيوسية (الصين في عهد ماو تسي تونج).

عادة ما يتم نقد المسلمين بسبب عدم وصولهم إلى الأفضل، ولكن قلما يهنّؤون على ما لديهم من معايير أخلاقية جنبت وقوع الأسوأ. فلم يعرف الإسلام مثيلاً لمعسكرات الإبادة الجماعية النازية المنظمة، كما لم يعرف الإسلام احتلالاً رافقه إبادة جماعية مثلما فعل الأوربيون في الأمريكيتين وأستراليا، كما لم يعرف الإسلام مثيلاً للتفرقة العنصرية الصارمة التي أقرتها الكنيسة الإصلاحية الهولندية في جنوب أفريقيا، كما لم يعرف الإسلام مثيلاً للعنصرية الوحشية اليابانية قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، كما لم يعرف الإسلام مثيلاً لحقول الموت في كمبوديا التي أقامها بول بوت، كما لم يعرف الإسلام مثيلاً للثقافة العنصرية المتمثلة بالإعدام دون محاكمة في الجنوب القديم في الولايات المتحدة الأمريكية، كما لم يعرف الإسلام مثيلاً للرعب الستاليني المنفذ باسم الخطط الخماسية. كما لا يمكن لأحد أن يلوم الإسلام على الحربين العالميتين الوحيدتين في تاريخ البشرية، واللتين بدأتا في أوربا. هل التوحيد درع تحول دون الفسوق والفساد في

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

أوسع صوره؟ ما الذي جعل الإسلام يرفض الفساد البشري في أعمق تجاربه؟

لقد انتصرت الشيوعية والستالينية وبشكل مستقل في دول مسيحية مثل روسيا وتشيكوسلوفاكيا. كما انتصرت الشيوعية في ثقافات تسودها البوذية مثل الصين وفيتنام وكوريا الشمالية. وإذا ما اعتبرنا جمهورية الصين الشعبية بوذية وكنفوشيوسية في آن واحد، فإن الشيوعية قد انتصرت بشكل مستقل في ثقافة كنفوشيوسية. ولكن باستثناء حالة ألبانيا المشكوك فيها، فإن الشيوعية لم تستطع أن تسود بشكل مستقل في ثقافة إسلامية سابقة. هل كان التوحيد واقياً ضد الأيديولوجيات التعسفية؟ وقد نمت الفاشية في الثلاثينيات من هذا القرن في الثقافات المسيحية مثل إيطاليا وألمانيا والبرتغال وفي الصين. كما نما شكل من أشكال الجندية الفاشية في اليابان الشنتو-بوذية. ولكن لم يعرف العالم تطور الفاشية المنظمة وما صاحبها من جرائم فظيعة في العالم الإسلامي؟ إن الإسلام والتوحيد يعطيان العدالة في العالم نوعاً من الحماية ضد الوقوع في مستنقع فساد بني البشر.

إن جزءاً من المرجعية المعيارية هي أن الإسلام قد رفض تاريخياً ثلاث قوى ساهمت في خلق أسوأ فصول القرن العشرين، والتي أسقطت البشرية في وحل البربرية. أولاً: قاوم الإسلام تاريخياً وإلى حد ما العنصرية؛ إذ جمع المسجد كافة الأجناس البشرية من أيام النبي محمد ﷺ. وقد كان أحد أحب الصحابة إلى النبي محمد ﷺ سيدنا بلال بن رباح الحبشي، وهو عبد أطلقه سيده من عبوديته وقد احتل مكانة عظيمة في أيام الإسلام الأولى[1]. وبفضل طبيعة الإسلام غير العنصرية، من بين عوامل أخرى، فقد أضحى تاريخ الإسلام خالياً من أي جهود منظمة للقضاء على شعب ما؛

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

إذ ساد الإسلام من خلال الالتئام والتزاوج واعتناق الإسلام، لا من خلال الإبادة الجماعية.

صحيح أن التاريخ الإسلامي قد شهد أحداثاً تسببت في وقوع خسائر كبيرة في الأرواح؛ فمحاولة تركيا عام 1915 تهجير السكان الأرمن والبالغ عددهم حوالي 1,750,000 نسمة إلى سوريا وفلسطين انتهت بكارثة إنسانية؛ إذ لقي مئات الألوف منهم مصرعهم جوعاً أو قتلوا في الطريق. ولم يغفر الأرمن في الشتات لتركيا قط تلك الحادثة البشعة. ولهذا فقد اغتيل عدد من الدبلوماسيين الأتراك بين حين وآخر على يد نشطاء أرمن[2]. ولكن قرار طرد شعب من أرضه، مهما كانت نتائجه وخيمة، لا يعادل المحرقة النازية المنظمة ضد ملايين البشر في أوربا. كما نجم عن حركة انتقال الشعب بين باكستان والهند بعد الانفصال عام 1947 سقوط آلاف القتلى في الطريق.

تمكن مقارنة ما أقدم عليه صدام حسين باستخدام الغازات السامة ضد القرى الكردية بالسلوك النازي. غير أن صدام حسين استخدم سلاحاً محرماً (الغازات السامة) في حرب أهلية، ولم يقد برنامجاً منظماً للقضاء على الشعب الكردي. إن ما قام به صدام كان جريمة وحشية إلا أنه لم يكن برنامج إبادة جماعية. كما كانت جريمة صدام حسين بمنزلة ما أقدمت عليه الولايات المتحدة الأمريكية باستخدامها قنابل النابالم في فيتنام أو استخدامها القنبلة النووية لتدمير مدينتي هيروشيما وناجازاكي[3]. ولكن علينا أن نفرق بين المذبحة والإبادة الجماعية؛ إذ يتضمن تاريخ معظم دول العالم تقريباً مذبحة أو ما يشبه ذلك في مرحلة ما، لكن ثقافات معدودة متهمة بالإبادة الجماعية التامة.

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

وإذا كان التاريخ الإسلامي رافضاً نسبياً العنصرية المنظمة والإبادة المنظمة، فإن التاريخ الإسلامي لم يعرف تجربة مثل محاكم التفتيش وحرق المنشقين عن الدين. وقد انطلقت محاكم التفتيش في إسبانيا مباشرة بعد طرد المسلمين من شبه الجزيرة الإيبيرية في عام 1492 واستمرت حتى عام 1834. وفي المقابل، فإن الأطفال في المجتمعات الإسلامية الذين يمسَكون وهم يحرقون بعض الحشرات، فإنهم يُذكَّرون بالقول الإسلامي القديم «لا يعذِّب بالنار إلا الله». ولهذا لم يشهد الإسلام قط إقراراً بحرق المرتدين. وفي المقابل، فقد استهل البابا جريجوري التاسع محاكم التفتيش المسيحية منذ عام 1231 والتي استهدفت المنشقين عن الدين. والثقافات التي أقدمت على ذلك في تاريخها كانت مهددة بأن تجيز غرف الغاز ضد أتباع عقيدة مخالفة، وظل الوضع كذلك حتى الثلاثينيات والأربعينيات. وقد كان الإسلام حائلاً دون مثل هذه الوحشية.

وفي الوقت الذي صد فيه الإسلام العنصرية والإبادة الجماعية والأحداث المماثلة لمحاكم التفتيش، فقد كان متأرجحاً فيما يتعلق بامتلاك الرقيق. إذ امتلك المسلمون الرقيق، بل وتاجروا به عبر القرون. غير أن الاسترقاق بين المسلمين لم يقتصر على عنصر دون آخر، إذ كان الرقيق من البيض والسود والسمر وغيرهم، وكذلك الأمر بالنسبة إلى مالكي الرقيق. وهذا ما يختلف عن نظام الاسترقاق على امتداد المحيط الأطلسي، والذي كان ذا قطبين: العبد الأسود وسيده الأبيض. ثانياً، سمح الاسترقاق في التاريخ الإسلامي بالترقي من مرتبة اجتماعية إلى المرتبة التي تليها علواً. فقد كان في مصر المسلمة والهند المسلمة سلالة من الرقيق. فقد كان عهد حكم المماليك في مصر (1250 - 1811) مثالاً على تحقيق السيادة على يد من كانوا رقيقاً في يوم من الأيام[4].

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

وأخيراً، لنلقي نظرة على التفاعل بين الإسلام والعنف، ففي ظل كل المناقشات المحتدمة حول "الأصولية" الإسلامية و "الإرهاب" العربي، قد نغفل عن إحدى مفارقات القرن العشرين. فإذا كان الإسلام يولد عنفاً يفوق ما تولده الثقافة الغربية، فإن الثقافة الغربية بالمقابل تولد عنفاً منحرفاً في الشوارع لا يعرف الإسلام مثيلاً له. وإذا كان الإسلام يولد عدداً من المجاهدين لا تعرفه الثقافة الغربية، فإن الثقافة الغربية بالمقابل تولد عدداً مخيفاً من لصوص الشوارع.

بالنسبة إلى مستوى الحياة للمواطن العادي، هل هناك من توازن بين تجاوزات الدولة الإسلامية وتجاوزات الدولة الليبرالية؟ لننظر في هذه المعضلة بشيء من التفصيل. تبدو الأزمة في الدولة الغربية الليبرالية في أن المواطنين أكثر أمناً في ظل حكوماتهم القائمة أكثر من أي وقت مضى، ولكنهم أقل أمناً وأماناً في مواجهة المواطنين الآخرين، وهكذا أضحت الحياة أكثر عنفاً شيئاً فشيئاً في الغرب. وإذا كانت الحياة أقل توتراً من الناحية السياسية مقارنةً ببعض الدول الإسلامية، فالتغير الاجتماعي في الدول الغربية إنما يقود إلى عنف اجتماعي متزايد.

إن أحد الحلول المطروحة في أجزاء من هذا العالم هو العودة إلى ما قبل العصر الحديث، وإلى المبادئ والقيم التقليدية الأصيلة، وهذا ما نراه في الجمهورية الإسلامية الإيرانية وفي عاصمتها طهران التي يبلغ تعداد سكانها نحو 10 ملايين نسمة. وقد رأيت في عام 1993 عائلات تتنزه ومعها أطفالها الصغار في بعض الحدائق العامة بين الساعة 11 مساء ومنتصف الليل. وفي أربع مدن أخرى رأيت أشخاصاً يتمشون في وقت متأخر من الليل وبصحبتهم أطفال أو نساء، لا يخافون - كما يبدو - من السرقة أو

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

الاغتصاب أو القتل. ورغم أن هذه الدولة قد شهدت عنفاً سياسياً واسعاً في الحرب والثورة، فإن العنف ضد الأشخاص في الشوارع نادر الوقوع، ولا يقارن بما يحدث في شوارع العاصمة الأمريكية واشنطن أو مدينة نيويورك. وقد يكون المواطنون الإيرانيون أقل أمناً في مواجهة حكومتهم مقارنة بالمواطنين الأمريكيين في مواجهة حكومتهم، إلا أن المواطنين الإيرانيين أكثر أمناً في مواجهة أقرانهم المواطنين مقارنةً بالمواطنين الأمريكيين. ويكمن الحل الإيراني في دائرته الأخلاقية، في العودة إلى ما قبل الحداثة.

ولكن، هل بوسع العالم الإسلامي أن يجد حلولاً معاصرة لمعاناته؟ هناك في حقيقة الأمر طريقتان للخروج من الحداثة؛ التراجع إلى ما قبل الحداثة أو محاولة تخطي مرحلة الحداثة إلى ما بعدها. هل بوسع العالم الإسلامي أن يتبع الجوانب الإيجابية من العولمة دون أن يسقط في الجوانب السلبية من الغربَنَة (Westernization)؟ هل التوحيد سبيل العالم الإسلامي نحو النظام؟

تعتبر مدينة جوهانسبيرج أكبر مدينة على النمط الغربي في أفريقيا، بينما أكبر مدينة إسلامية هي القاهرة، والقاهرة أكبر بكثير من جوهانسبيرج، ولكن القاهرة لا تشهد إلا القليل من عنف الشوارع مقارنةً مع جوهانسبيرج. هل للإسلام دور في تهدئة شوارع القاهرة؟ يمكن أن يكون مفهوم الثالوث المقدس قد ساعد على إعطاء الغرب المسيحي انفتاحاً أوسع، غير أن التوحيد هو السبيل إلى النظام والانضباط. وإذا كنا نتحدث أحياناً عن وحدة الإله، فإننا نحتاج أحياناً إلى الحديث عن وحدة الإله مع خلقه. وهكذا يتوافق مفهوم التوحيد في الإسلام ووحدة الوجود، كما جاء في هذه القطعة من الشعر:

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

ما الطبيعة إلا الفن الذي نجهله
ما الحظ إلا ما كُتب علينا ولا نبصره
وما الفوضى إلا توافق لا نفهمه
وما الشر في أحد جوانبه إلا خير للبشرية
فالكل كل واحد في مجمله
جسده الطبيعة، وروحه الله

(إلكسندر بوب، "**مقالة حول الإنسان**")

إن توسع الأمة في نطاقها قد يجعل الإجماع أقل احتمالاً، وكلما زادت عولمة الأمة في مداها، قل ما تعكسه من الإجماع أو التوحيد. إن وحدة العالم الإسلامي أضحت أمراً صعباً مع توسع حجمه، هل يضر الإسلام توسعه هذا؟ ولكن وحدة العالم الإسلامي محفوظة بنمط آخر من العولمة، وهو ثورة المعلومات. إن الاتصال بين مكة المكرمة والمدينة المنورة في عهد النبي محمد ﷺ كان يستغرق أكثر بكثير من الاتصال بين الرياض وكوالالمبور على عتبات القرن الحادي والعشرين، وقد أصبح حجم الأمة الإسلامية اليوم أكبر مرات كثيرة من عدد المسلمين في قمة عهد الخلافة العباسية، غير أن أخبار انطلاق الثورة الإيرانية في عام 1979 انتقلت أسرع من انهيار الدولة العباسية في بغداد عام 1258 ميلادية.

ما معنى كل هذا بالنسبة إلى الإسلام في القرن الحادي والعشرين؟ رغم أن العولمة وما تعنيه من توسع حجم الأمة الإسلامية قد قلل من فرص الوحدة الإسلامية، فإن العولمة وما تتضمنه من ثورة المعلومات قد كشفت عن فرص جديدة للاتصال بين المسلمين، ومن ثم فرصة تحقق الإجماع

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

بينهم. ولكن أين يجد الإسلام نفسه في ثورة المعلومات هذه؟ وكيف يمكن للإسلام أن يتأثر بها؟ إن أحد الأسئلة الشاملة المطروحة الآن هو هل سيتأثر الإسلام بشكل عميق بالثورة الصناعية الثالثة للمعلومات، وبشكل مساو لتأثر المسيحية بالثورة الصناعية الأولى للإنتاج الرأسمالي؟

من المعلومات إلى الإصلاحات؟

من آثار الثورة الصناعية الأولى وما تبعها من إنتاجية رأسمالية على المسيحية الغربية أنها أوجدت حركة مهمة مثل حركة الإصلاح الديني المسيحي، والتي استمرت وانتشرت بعد ذلك. ولكن، هل سيكون من آثار ثورة المعلومات الجديدة أن توجد حركة مهمة من الإصلاح الإسلامي؟ في القرن العشرين، دخل الغربيون في جدل حول ما إذا كانت حركة الإصلاح المسيحي بحد ذاتها وليدة المراحل الأولى من الثورة الرأسمالية. لقد قدم ماركس فيبر(Max Weber) في كتابه «**الأخلاقيات البروتستانتية وروح الرأسمالية**» *(The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism)* طرحاً قوياً مفاده أن الحركة الإصلاحية هي أم الرأسمالية وليست وليدة التغييرات الاقتصادية. وفي المقابل، فقد عرف بعض المفكرين الاختراعات التقنية في الفترة السابقة للحركة الإصلاحية على أنها جزء من الاستعداد للبروتستانتية والرأسمالية. وقد عرف فرانسيس بيكون البوصلة والمطبعة ومسحوق البارود كثلاث قوى أدت إلى تغيير «مظهر وحالة العالم بأكمله»[5].

وفي الوقت الحالي فإن البروفسور فرانسيس روبنسون، أستاذ التاريخ في جامعة لندن قد أعطى المطبعة أهمية مركزية فيما يتعلق بالحركة البروتستانتية؛ ويقول في هذا السياق:

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

«تقع الطباعة في قلب ذلك التحدي العظيم للسلطة الدينية، وأقصد به حركة الإصلاح البروتستانتية؛ وقد كانت اللوثرية وليدة الكتاب المطبوع. كما تقع الطباعة في قلب الهجوم الكاثوليكي المضاد، وما يتضمنه ذلك من تسخير الطباعة لأعمال اليسوعيين، ومكتب الدعاية الموجهة»[6].

والقضية المطروحة الآن على بساط البحث هي: هل ستترك الإنترنت والثورة الصناعية الثالثة أثراً مماثلاً للأثر الذي تركته الطباعة والثورة الصناعية الأولى في المسيحية. فإذا كانت الطباعة قد زعزعت أسس التعاليم المسيحية، فهل يمكن للإنترنت أن تزعزع أسس التعاليم الإسلامية. فقد أثمرت المسيحية في أعقاب تأثرها بالتغيرات الاجتماعية ـ التقنية في بدايتها عن الحركة البروتستانتية، ولنا أن نتساءل في هذا السياق هل سيتمخض عن الإسلام أشخاص مثل مارتن لوثر وجون كالفن، وإذا لم يكن كذلك فأشخاص مثل الملك هنري الثامن؟

يمكننا القول إن المذهب السني لم يشهد تغييراً جوهرياً في طبيعته العقائدية منذ وفاة الإمام الفقيه أبي عبدالله مالك بن أنس، مؤسس المذهب المالكي عام 795 ميلادي. ولكن، هل لتقنية المعلومات الحديثة أن تفتح الباب على مصراعيه للاجتهاد؟ وهل لتقنية شبكة المعلومات العالمية أن تتيح ظهور مذاهب حديثة؟

في جوانب معينة، كانت حركة الإصلاح المسيحية عودة إلى المبادئ الأساسية للمسيحية. وبالمثل، قد تساعد ثورة المعلومات الإسلام على فهم بعض مبادئه الأولى بشكل أكثر فاعلية. و قد تكون السيادة الوطنية هي الضحية الأولى؛ أي تضاؤل السيادة في أعقاب ظهور الإنترنت وشبكة المعلومات.

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

وفي الوقت الذي أضحت الثورة الصناعية الأولى في الإنتاج الرأسمالي وحركة الإصلاح المسيحية متحالفين مع القوى الوطنية الجديدة في العالم الغربي الجديد، فإن الثورة الصناعية الثالثة وأي حركة إصلاح إسلامية سيكونان معاديين لعزلة وطنية الدولة. أما الثورة الثانية فكانت في الاستكشافات العالمية وفي التجارة الإمبراطورية. وسيكون الإسلام وثورة المعلومات متحالفين في إسقاط حواجز السيادة الوطنية المتنافسة. وسوف تعطي التقنية الجديدة الإسلام فرصة لإدراك أهدافه الأصلية والمتمثلة في العالمية؛ فالإنترنت وشبكة المعلومات العالمية قد يصبحان شبكة معلومات إسلامية.

وفي حقيقة الأمر، يرتبط تضاؤل سيادة الدولة بزوال المسافات، وبطريقة ما فإن ذلك يعيد الإسلام إلى أصوله. فقد حاول الإسلام منذ البداية أن يزيل المسافات، خاصة وأنه ديانة تمجد الحركة. والتقويم الإسلامي لا يبدأ عندما ولد النبي محمد عليه الصلاة والسلام عام 570 ميلادي، ولا عندما نزلت عليه الرسالة عندما بلغ الأربعين، ولا عندما انتقل إلى جوار ربه في عام 632 ميلادي، بل يبدأ التقويم الإسلامي مع هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عام 622 ميلادي. فالهجرة، في أحد مفاهيمها، احتفاء بالانتقال من مكان إلى آخر لهدف معين؛ فالنبي محمد ﷺ لم يغير المثل الدينية من مثل جاهلية إلى مثل إسلامية فحسب، بل انتقل فعلياً من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة. وهكذا بدأ التقويم الإسلامي مع حركة الانتقال هذه.

يوجد في الإسلام ثلاث مدن مقدسة، كل واحدة منها تمثل مستويات مختلفة لزوال المكان. فقد ذكرنا سابقاً أن المدينة المنورة كانت وجهة قرار

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

تاريخي للنبي محمد عليه السلام حين قرر أن ينتقل بالإسلام في بداية رسالته إلى قصة مدينتين، من مكة المكرمة التي رفضته إلى المدينة المنورة التي استقبلته. وقد سعى الإسلام إلى إزالة المسافات من خلال الإيمان؛ فمكة تمثل جوانب أخرى لزوال المسافات، ففي كل يوم، يتوجه ملايين المسلمين حول العالم نحو مكة وهم يصلون لله، وقبلتهم مدينة تبعد عنهم آلاف الأميال. وتشكل مكة المكرمة نقطة دائمة لتلاقي المسلمين في صلاتهم لله الواحد الأحد؛ إذ يزيل الإيمان المسافات، ومكة ذاتها يقصدها ملايين المسلمين في موسم الحج سنوياً من أرجاء المعمورة كافة؛ بعضهم يأتيها بالطائرة، وبعضهم بالسيارة، وبعضهم بالباخرة، وبعضهم مشياً على الأقدام.

أما ثالث المدن المقدسة عند المسلمين فهي القدس، والتي وصل الفلسطينيون والإسرائيليون اليوم إلى طريق مسدود بشأنها. وأهم ما في القدس بالنسبة إلى المسلمين هو المسجد الأقصى وقبة الصخرة. هذا ويعتقد المسلمون أنه في ليلة المعراج، اختفت المسافات في مستوياتها الثلاثة؛ فالنبي محمد ﷺ قد أسري به من مكة إلى القدس في ليلة واحدة في عصر كان الجمل وسيلة التنقل فيه؛ ومن ثم عُرج به من الأرض إلى السموات العليا خلال الليلة نفسها صاعداً إليها من القدس؛ وأثناء وجوده في السموات العليا اتصل الحاضر بالماضي، إذ تحدث النبي محمد ﷺ إلى المسيح وموسى ومن قبلهم حتى وصل إلى آدم (عليهم السلام) في ليلة واحدة. ثم عاد النبي محمد ﷺ إلى مكة قبل صباح اليوم التالي، وقد تجاوز ثلاثة حواجز كونية هي:

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

- المسافة بين مكة والقدس
- المسافة بين الأرض والسموات العليا
- المسافة بين الماضي والحاضر

وهذه هي طريقة الإسلام في إعداد المؤمنين به لعصر تختفي فيه المسافات ويسود فيه التزامن الرقمي في عصر العولمة. وقد تصدى العديد من المسلمين لهذا التحدي في عصر المعلومات الجديد، وكان مما أنجزوه أدلة المصادر الإسلامية على الإنترنت (Islamic Resource Guides on the Internet) و دليل المسلم إلى الإنترنت (Cyber Muslim Guide) وشبكة الأخبار والمعلومات الإسلامية (Islamic Information and News Network) وغيرها من أجهزة خدمة الشبكة (Web Servers) التي توفر معلومات عن الإسلام والمسلمين، علاوةً على الرقم المجاني 800 في أمريكا الشمالية وذلك للإجابة عن أسئلة المستفسرين حول الإسلام[7]. ويعني ذلك أنه في مجال تضاؤل لسيادة ومجال زوال المسافات، فإن الإسلام وثورة المعلومات الجديد كانا عموماً حليفين تاريخيين.

من الخلوة في جناح النساء إلى الاقتراع سراً

ربما هناك مجالان أساسيان لابد من أن يتوصل الإسلام وثورة المعلومات فيهما إلى اتفاق، وهما في قلب أي حركة إصلاحية إسلامية إذا ما حدثت. إن أول هذين المجالين اللذين يسببان توتراً هو العلاقة بين الرجل والمرأة؛ هل ستغير تقنية المعلومات الجديدة العلاقة بين الجنسين في جوهرها وإلى الأبد؟ القضيتان الأولى والثانية كانتا تضاؤل السيادة وزوال المسافات، أما القضية الثالثة فهي اختراق الخصوصية الشخصية.

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

أما فيما يتعلق بقضية الجنسين، فقد تعاقب المسلمون على نظامين أو مذهبين: الأول هو معاملة الذكر والأنثى معاملة متساوية ولكن منفصلة. وقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية ذات يوم أن تطبق المبدأ الدستوري الذي ينص على معاملة البيض والسود معاملة متساوية ولكن منفصلة. ولكن، وبحلول عام 1954 خلصت المحكمة العليا إلى أن الفصل بين البيض والسود يفضي إلى عدم المساواة أو يوطدها إلى الأبد. وفي القرار المهم لـ "براون مقابل الهيئة التربوية" عام 1954 رفضت المحكمة العليا الأمريكية أخيراً مبدأ الفصل بين البيض والسود مع المساواة بينهما. وهكذا أصبح الفصل بين السود والبيض أمراً غير دستوري.

ولكن، إذا كان مبدأ المساواة في المعاملة المنفصلة قد تعذر تطبيقه بين البيض والسود، فلماذا ينجح بين الذكر والأنثى؟ الإجابة عن هذا السؤال هي لأن الرجل والمرأة يعيشان معاً وبطريقة لا تنطبق عن البيض والسود في الولايات المتحدة الأمريكية. فأم كل رجل امرأة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى زوجته وابنته وحفيدته وعمته وغيرهن من قريباته. لذلك، فإن الفصل بين الرجل والمرأة يخفف من حدته في نهاية المطاف العلاقات الأسرية، وهذا هو الفرق النوعي في الفصل بين البيض والسود من ناحية والفصل بين الرجل والمرأة من ناحية أخرى. فالفصل بين الرجل والمرأة مع المساواة بينهما سيبقى في عصر ثورة المعلومات.

وفي ظل التقنية الجديدة يصبح "الحجاب المحوسب" متاحاً. فبوسع المرأة أن تبقى في المنزل وأن تبقى في الوقت ذاته متساوية مع الرجل في عملها على الحاسوب، والفرق في هذه الحالة بين العمل في المنزل والعمل في مكتب ما ليس واضحاً. ولكن هناك العديد من المجتمعات

المسلمة التي لا تعامل النساء معاملة مساوية للرجال مع الفصل بينهما. ولعل جانباً من ذلك مرده إلى فهم للشريعة التي جعلت النساء يرثن نصف ما يرثه الرجال، وجعلت شهادة المرأة في المحكمة أقل قيمة من شهادة الرجل.

إن مثل هذه المجتمعات المسلمة قد افترضت أن هناك سبيلين إلى المعرفة، الأول للرجال والثاني للنساء. وقد افترض العديد من المجتمعات المسلمة أن هناك فروعاً من المعرفة لا تناسب النساء والأطفال دون السادسة عشرة، ولأسباب تتعلق في معظمها بالحياء، اقتصرت بعض فروع المعرفة العلمية على الرجال دون النساء. ونرى اليوم حركة طالبان في أفغانستان وقد طبقت هذه النظرية التي تميز بين الذكر والأنثى في التعليم بشكل متطرف.

إن تقنية المعلومات الجديدة سوف تزيل هذا التمييز برمته من الحياة الاجتماعية؛ فهناك من المعلومات ما لا يقتصر على الرجال دون النساء. وما يعرفه الرجال حول الجنس والإباحية والسياسة والفساد يمكن للنساء أن يطلعن عليه عبر شبكة الإنترنت وشبكة المعلومات العالمية وطريق المعلومات السريعة. وفي وقت ما، سيزول ستار الحجاب وما يخفيه من حياء من خلال التقنية الجديدة؛ فقد تغطي المرأة جوانب أخرى من شخصيتها، ولكنها شيئاً فشيئاً ستكون مرئية لمن يتصل بها عبر الإنترنت أو نظام الهاتف المرئي. وسوف تلغي هذه التقنية الجديدة تماماً مجالس النساء (الحريم) التي بقيت منذ عهد الخلافة العباسية في العديد من المجتمعات الإسلامية، ولن تصمد أشكال عزلة النساء التقليدية طويلاً أمام تقنية تجعل المرأة قادرةً على أن تعلن وجودها، بل وتؤكّد في الوقت المناسب حقوقها،

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

وسوف يكون بوسع المرأة أن تظهر نفسها للآخرين بشكل أسهل من أي وقت مضى عبر الهاتف المرئي.

إذا كانت تقنية المعلومات تؤدي إلى زوال المسافات واختراق الخصوصية الشخصية، فما هو المجال الرابع لاهتمامنا في هذا البحث؟ وإذا قُدر أن يكون هناك إصلاح إسلامي، فإن مكونه الرابع سيكون على الأرجح احتمالية أن تخضع الثيوقراطية للديمقراطية.

إن الديمقراطية نظام بؤرته الشعب، والثيوقراطية نظام بؤرته الخالق "الله". ولكن، هل وجود أحدهما ينفي وجود الآخر؟ أم هل من الممكن أن تتخذ الثيوقراطية الشعب بؤرتها شيئاً فشيئاً. في هذا المحور فإن على الحركة الإصلاحية الإسلامية مستقبلاً أن تبحث عن مثل تحتذي به ليس في مارتن لوثر ولا في جون كالفن، ولكن في تجربة إنجلترا منذ هنري الثامن. هل يُمكن للثيوقراطية الإسلامية أن تصبح ديمقراطية، بحيث تجعل الشعب بؤرتها مثلما "الله" بؤرتها الأساسية؟ هل يمكن لإرث التوحيد أن يصبح مفهوماً خاضعاً للتعددية السياسية؟

والسؤال الجوهري الذي يبرز هنا هو هل يمكن فعلاً للثيوقراطية أن تصبح ديمقراطية؟ لقد قدم البريطانيون سابقة في هذا المجال؛ ففي عهد الملك هنري الثامن (1509 ـ 1547) انفصلت إنجلترا عن البابوية الرومانية، وظهرت إلى الوجود كنيسة إنجلترا المستقلة. وفي عام 1534 فإن البرلمان الإنجليزي وبضغط من الملك، جعل ملك إنجلترا رئيس كنيسة إنجلترا، إضافة إلى كونه رئيس الدولة[8].

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

وعندما جاءت إليزابيث الأولى إلى العرش عام 1558 تعززت الصلة الثيوقراطية بين الكنيسة والدولة. وفي حكمها ومن خلال نفوذها، أضحت الطبعة الثانية من كتاب *(The Book of Common Prayer)* (1559) وكتاب *(Thirty Nine Articles)* (1563) قاعدة لعقيدة الكنيسة الإنجليزية والطقوس الدينية[9]. وقد كان هناك انقطاع لفترة قصيرة في التاريخ الديني لإنجلترا، وتحديداً عندما حاولت الملكة ماري ابتداء من عام 1553 أن تعيد السيادة الكاثوليكية[10]، وعندما غرقت إنجلترا في حرب أهلية (1642ـ1651) وخلال عهد كرومويل (1649ـ1660). غير أن الملكية الإنجليزية قد عادت عام 1660 بوصول الملك تشارلز الثاني إلى العرش. وبعودة الملكية عادت أيضاً روابطها مع كنيسة إنجلترا، وهكذا، ولدت الثيوقراطية الإنجليزية من جديد.

ولكن، متى بدأت هذه الثيوقراطية تتحول إلى ديمقراطية؟ جاءت المرحلة الحاسمة عندما حاول الملك جيمس الثاني (الذي جاء خلفاً لأخيه الملك تشارلز الثاني) أن يعيد الكنيسة الكاثوليكية. وانطلقت معركة بين الملك (المؤيد للكنيسة الكاثوليكية) والنخبة البرلمانية (المؤيدة للبروتستانتية). وهنا كانت المفارقة: فإذا ما ربح الملك، كانت إنجلترا ستصبح أقل ثيوقراطية ولكن في الوقت ذاته أقل ديمقراطية؛ فانتصار الملك كان يعني نهاية الجمع بين رئاسة الدولة ورئاسة الكنيسة الوطنية، وبهذا، ستعود السيادة الدينية إلى روما. ومن ناحية أخرى، إذا ما انتصرت النخبة البرلمانية، ستنجو الثيوقراطية في إنجلترا، ولكن سيكون ذلك أيضاً انتصاراً رئيسياً للديمقراطية البرلمانية الوليدة. وفي عام 1688 وقعت الثورة المجيدة في بريطانيا، والتي أفضت إلى مبدأ دائم ينص على سيادة البرلمان في

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

النظام السياسي الإنجليزي[12]. وكانت ثورة عام 1688 ودفاع جون لوك عنها في كتابه *(Two Treaties of Government)* (1690) لاحقاً من بين المؤثرات الأيديولوجية العظيمة في حرب الاستقلال التي شكلت الثورة الأمريكية[13].

وظل المبدأ الثيوقراطي في إنجلترا قاعدة للكنيسة الراسخة، ولكن الدولة ذاتها ظلت تتقدم ببطء نحو الديمقراطية. وكان على التغييرات الديمقراطية الرئيسية أن تنتظر حتى القرنين التاسع عشر والعشرين، عندما تم توسيع حق الانتخاب إلى طبقات اجتماعية جديدة، وأخيراً للنساء. وظلت الثيوقراطية في حالة الملك كرئيس لكنيسة إنجلترا، وفي دور رئيس الوزراء في عملية تعيين أسقف كانتربري، وفي دور البرلمان كسلطة نهائية لأي تغييرات في مبادئ الكنيسة الإنجليزية.

الملكية بين الثيوقراطية والتعددية

نظرت النزعة الثيوقراطية (الدينية) في التاريخ الإنجليزي إلى الإله الأب على أنه إله القوة والعدالة من ناحية، ومن ناحية أخرى، نظرت النزعة الديمقراطية، في بعض جوانبها، إلى الإله الابن على أنه إله المحبة. أما إله القوة فقد عاد بنا إلى التقاليد القديمة التي جعلت من الملوك آلهة، وجعلت الإله ملكاً. أما إله المحبة فقد أضعف قوة العدالة وساعد على خلق التسامح في الثقافة الإنجليزية.

ولكن، ماذا لو كانت محبة الملوك حرفية أو فعلية، بما في ذلك حب الرجل للمرأة؟ في أي ظروف يمكن للملك الذي بارك الإله تنصيبه، أن

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

يظل ملكاً بعد أن ينقاد وراء حب دنيوي؟ وهذا ما رأيناه فعلياً في أزمة عزل الملك إدوارد الثامن عام 1936. وفي أي ظروف يمكن للثقافة الملكية الإنجليزية أن تبقى متسامحة وأن تقبل بالتعددية إذا ما هدد الحب المبكر لأميرة بريطانية أن يتعدى الحدود العرقية والدينية؟ وهذا ما رأيناه بالفعل في القصة المؤثرة التي لم تدم أحداثها طويلاً بين أميرة ويلز وصديقها المسلم عماد (دودي) الفايد في عام 1997.

من أخطر الأزمات في القرن العشرين بين الثيوقراطية والديمقراطية في بريطانيا أزمتان مرتبطتان بعلاقات غرامية في العائلة الملكية. أول هاتين الأزمتين العاطفيتين وقعت في الثلاثينيات وتمثلت في علاقة الحب التي ربطت إدوارد الثامن مع السيدة واليس سيمبسون (Wallis Simpson). وكان من السخرية في أخلاقيات البروتستانتية الإنجليزية أن بوسع الملك أن يكون على علاقة غرامية مع السيدة واليس سيمبسون أثناء ولايته للعرش، ولكنه لا يستطيع أن يتزوجها إلا إذا ما تخلى عن العرش. وعندما كانت السيدة سيمبسون على ذمة زوجها كانت علاقة الملك بها محرجة للكنيسة والمؤسسة البريطانية، ولكن ما إن طلقت من زوجها حتى تضاءلت المعارضة ضد علاقة الملك بها.

ولكن لم يكن من المفترض أن يتزوج الملك، وهو حاكم كنيسة إنجلترا، من امرأة مطلقة. أما الثيوقراطية الإنجليزية في ذلك الوقت فقد كانت في أن إقامة علاقة جنسية خارج الزواج - وإن كان أمراً محرجاً - أكثر قبولاً من الطلاق، وكان ما يريده الملك هو أن يفعل ما يراه صائباً وأن يتزوج عشيقته. وكان الرأي العام في بريطانيا في معظمه مؤيداً للملك في هذه القضية، ولكن، في هذه القضية تحديداً كانت الضغوط الديمقراطية للرأي

العام أقل تأثيراً من الرمزية الثيوقراطية للعلاقة المتبادلة بين الدولة والكنيسة. وفي خطاب إذاعي مؤثر عام 1936، اضطر الملك إدوارد الثامن للتخلي عن العرش، وأبعد هو وعروسه عن شواطئ الجزر البريطانية، وأمضيا معظم حياتهما كدوق ودوقة ويندسور في باريس. وفي النهاية، فضل الاثنان الزواج خارج أسوار قصر بكنجهام على أن يبقيا في القصر ويبقيا على علاقة غرامية لا تتوج بالزواج. وقد دفعا ثمناً باهظاً لذلك.

وبعد ستين عاماً، اشترى رجل الأعمال المصري المسلم محمد الفايد، صاحب محلات هارودز الشهيرة في لندن، المنزل الواقع في باريس والذي أمضى فيه دوق ودوقة ويندسور الأعوام الأخيرة من حياتهما. وهذا ما يوصلنا إلى العلاقة الغرامية المفجعة الثانية التي هزت العرش البريطاني في القرن العشرين؛ إذ بدأ دودي الفايد بن محمد الفايد، بالتقاء الأميرة ديانا أميرة ويلز وأم ملك بريطانيا القادم الأمير وليم. وإذا تزوج دودي وديانا فهل سيعيشان في المنزل الباريسي الذي عاش فيه دوق ودوقة ويندسور من قبل؟ وعلاوة على التوتر بين الثيوقراطية والديمقراطية، هل أضحت الثقافة البريطانية تواجه تحدياً لتعدديتها؟

ومرة أخرى، توترت العلاقة بين الديمقراطية البريطانية ورمزية الثيوقراطية البريطانية. ووفقاً للمعايير الديمقراطية البريطانية لم يكن هناك من سبب يمنع الأميرة ديانا من أن تتزوج رجلاً مصرياً إذا ما أرادت هي ذلك، خاصة وأنها أصبحت مطلقة رسمياً من الأمير تشارلز أمير ويلز ووريث العرش البريطاني. ولكن في دوائر الرأي المهمة في مؤسسة الحكم البريطانية، لم يكن من الممكن ثقافياً أو دينياً تقبل فكرة أن يكون لملك إنجلترا القادم (ابن ديانا) إخوة غير أشقاء أسماؤهم محمود وعدنان، أو

أخوات غير شقيقات أسماؤهن كلثوم وعائشة. ولنا أن نتساءل عما حدث للقبول بالتعددية التي جاءت من رحم مبدأ الثالوث؟

وقد جاء يوم 31 آب/ أغسطس 1997، ذلك اليوم الذي لا يقل أهمية في أصدائه الملكية عن يوم 10 كانون الأول/ ديسمبر 1936 الذي قرر فيه إدوارد الثامن التنحي عن العرش البريطاني. وفي الحقيقة، إن خبر الحادث الذي تعرضت له الأميرة ديانا في باريس صدم العالم ورماه في حزن وذهول يفوق خبر تنحي الملك-الإمبراطور في لندن عام 1936، وهذا هو أثر ثورة المعلومات.

هل شكلت الأميرة ديانا مع عماد الفايد تحدياً عظيماً للتعددية البريطانية؟ هل كانت وفاة الأميرة ديانا أميرة ويلز، في ذلك الحادث المروع، مجرد حادث عارض؟ هل لنا أن نتخيل أن اليمينيين المتطرفين في بريطانيا أرادوا أن يضمنوا ألا تُخطب أم ملك إنجلترا القادم إلى مصري مسلم؟ وهكذا بدأت نظرية المؤامرة. هل كان بعض مصوري المشاهير الذين اختفوا من موقع الحادث مستأجرين لخلق الفوضى؟ هل كانت هناك سيارة غامضة اختفت؟ هل تنحى التأثير الخير للروح القُدس في التعددية البريطانية عن بريطانيا هذه المرة؟

ذُهل المسلمون المجتمعون في شيكاجو بمناسبة اللقاء السنوي للجمعية الإسلامية في أمريكا الشمالية، وعددهم ثمانية عشر ألفاً، عند سماعهم لخبر وفاة الأميرة ديانا المفاجئ؛ كنت موجوداً في اللقاء، وقد فُجعنا لوفاة سفيرة بريطانيا الأكثر تألقاً لهذه البشرية. كان بعض المجتمعين في لقاء شيكاجو مصري المولد، كما هي حال رفيق ديانا في الحادث المأساوي في باريس. وبعد أن خفت حدة الصدمة في ملتقى شيكاجو، بدأت تتشكل

بعض التكهنات عند بعض المشاركين. ففي دول العالم الثالث، ينظر إلى حوادث السيارات التي يذهب ضحيتها شخصيات عامة على أنها طريقة مقنعة للاغتيالات السياسية. وقد شهدت كينيا والشرق الأوسط مثل غيرها من دول العالم عدداً من حوادث السيارات التي تثير الشبهات. ولنا أن نتساءل: هل حوادث السيارات من هذا النوع غير معروفة في دول العالم المتقدمة أو أن الأرستقراطية البريطانية رفضت أن تتنازل عن حقها؟

في 31 آب/ أغسطس – وهو يوم وفاة الأميرة ديانا – أكَّدت صحيفة أخبار العالم *(News of the World)*، وهي أكثر الصحف البريطانية توزيعاً، أن دودي الفايد لم يكن شخصاً ملائماً ليتزوج من الأسرة الملكية البريطانية. وقد ادعت الصحيفة ذاتها أن الأمير وليم الذي يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً قد "أرعبته" فكرة أن يكون دودي الفايد زوج أمه. هل نسي الناس إله المحبة؟

لقد كان ينظر إلى الأميرة ديانا أميرة ويلز، وعلى نطاق واسع من قبل جزء من المؤسسة السياسية في إنجلترا على أنها "مدفع متقلقل" يمكنه أن يقوم بحركات غير قويمة وخطرة. وفي عصر المعلومات هذا، أضحت الخلافات الملكية تصل إلى أسماع العامة أكثر من أي وقت مضى. فقد أسندت أكثر مقابلات الأميرة ديانا خصوصية وحميمية مع هيئة الإذاعة البريطانية (BBC) في عام 1995 – عن عمد – إلى رجل ملون بريطاني من أصل آسيوي، وذلك في مقابل اختيار الأمير تشارلز جوناثان ديمبلبي، وهو نخبة النخبة بين الشخصيات التلفزيونية البريطانية. وقد اعترفت الأميرة ديانا في تلك المقابلة التي أجراها معها البريطاني الملون بأنها لم تكن مخلصة، وذلك رداً على اعتراف زوجها بالخيانة الزوجية. وقد أثبتت الأميرة

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

ديانا بذلك نفسها كامرأة معاصرة من عصر المعلومات، وكامرأة شعرت بالراحة وهي تناقش قضايا حميمية مع محاورها الملون أمام آلة التصوير.

خلال شهري تموز/ يوليو وآب/ أغسطس عندما أضحى اسم الأميرة ديانا مرتبطاً باسم رجل مصري من أسرة مسلمة؛ وصل موقفها غير العنصري إلى مستوى جديد؛ إذ أضحى من الممكن أن تتزوج أم ملك إنجلترا القادم من سلالة نظر إليها الإمبرياليون البريطانيون في الماضي بكل ازدراء واعتبروها حقيرة. لقد خانت تعددية الإمبراطورية البريطانية ضميرها.

ومما عقَّد الأمور أكثر فأكثر هذه الخلفية الإسلامية لأسرة الفايد؛ فملك أو ملكة بريطانيا لابد من أن يكون - كما أشرنا سابقاً - رئيس كنيسة إنجلترا، وهو الحاكم الأعلى للكنيسة الإنجليزية، وهل من المقبول حينها أن تكون الأميرة ديانا أم وليم ملك بريطانيا في المستقبل؛ متزوجة من مسلم؟ وهل من الممكن أن يكون للأسرة الملكية البريطانية أنسباء مسلمون؟ وفي عصر المعلومات هل يمكن لمؤسسة الحكم في بريطانيا أن تقبل نظرة عالمية كهذه؟ وإلى أي حد يمكن فعلياً قبول التعددية؟

ومما يثير الفضول حقاً أن زوج ديانا السابق الأمير تشارلز، كان قد سبب قلقاً لكنيسة إنجلترا بسبب ما نظر إليه على أنه «نزعة مزعجة نحو عاطفة مؤيدة للإسلام». وقبل أسبوع من مصرع الأميرة ديانا، أشارت هيئة الإذاعة البريطانية، في تقرير لها حول ما إذا كانت الكنيسة الإنجليزية يجب أن تنفصل عن الحكومة البريطانية، إلى ارتباط مواقف الأمير تشارلز التي تميل إلى العالمية والمجاملة القوية تجاه الإسلام، لكي يكون مؤهلاً حقاً للعرش البريطاني.

كان تقرير هيئة الإذاعة البريطانية جزءاً من برنامج اسمه "أربع وعشرون ساعة" والذي بث أكثر من مرة في الأسبوع السابق لوفاة الأميرة

ديانا. وترجع نزعة الأمير تشارلز للإسلام إلى محاضرة ألقاها عام 1991 في جامعة أكسفورد عنوانها «الإسلام والغرب» والتي دعا خلالها الغرب إلى بذل جهود عظيمة لفهم الإسلام[14]. ولكن روحه العالمية قد برزت قبل ذلك حين أوصى أن يتم تغيير أحد ألقاب ملك إنجلترا (أو الملكة الحاكمة) من " حامي الدين " (defender of the faith) (ويقصد بها عقيدة الكنيسة الإنجليزية) إلى " حامي الأديان " (defender of faith) (ويقصد كافة الأديان في مملكته). وقد صُدم أتباع الكنيسة الإنجليزية الورعون من عالميته المتفتّحة. وكان الأمير تشارلز يريد أن يتم هذا التغيير قبل أن يؤدي القسم في يوم تتويجه، وكما كان يريد أن يدخل الديمقراطية في الثيوقراطية البريطانية في يوم التتويج. لقد كان الأمير تشارلز يحاول أن يقترب أكثر فأكثر من مضامين التعددية في الثالوث المقدس.

أما فيما يتعلق بالدين فإن لنا أن نقول إن الأمير تشارلز والأميرة ديانا كانا في حقيقة الأمر عالميي العقيدة ومتسامحين في الأمور الدينية. وقد بدأت العائلة الملكية بأكملها في منتصف التسعينيات وبتأثير من الأمير تشارلز بمناقشة ما إذا كان الأعضاء غير البارزين في العائلة المالكة سيمنعون أيضاً من الزواج من أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية . وكانت تلك هي الخطوة الأولى نحو التعددية الدينية.

غير أن الزواج من مسلم أو مسلمة لم يكن خياراً وارداً أو ممكناً حتى للأعضاء البارزين في العائلة الملكية. ورغم أن الأميرة ديانا حُرمت من لقب صاحبة السمو الملكي، فإنها بقيت أميرة ويلز، والأهم من هذا أنها بقيت أم ملك إنجلترا القادم. ومازال على الثالوث المقدس أن يوصل التعددية كاملة غير منقوصة إلى الأوساط العليا في المجتمع البريطاني.

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

لم يكن دودي الفايد مسلماً ورعاً وتقياً خاصةً فيما يتعلق بشعائره وممارساته، كما لم تكن الأميرة ديانا والأمير تشارلز مسيحيين ورعين. ولو قُدر لدودي الفايد والأميرة ديانا أن يتزوجا، لكان زواجهما مثل زواج الأمير علي خان (والد آغا خان الرابع الحالي) في عام 1948 من الممثلة الأمريكية ريتا هاورث. ولكن في تلك الحالة كان الأمير مسلماً، وكانت العروس من الغرب، وكان حادث السيارة بعد الزواج لا قبله. وقد لقي الأمير علي خان مصرعه في حادث السيارة في أوربا، بينما لم تكن ريتا هاورث معه في السيارة لحظة الحادث. وانتهت العلاقة الغرامية بينهما، وعادت ريتا هاورث إلى عالم الأفلام كممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية.

لم يثبت أن هناك نية مبيتة وراء مصرع الأمير علي خان عام 1958، كما أنه من المحتمل ألا يثبت أن هناك نية مبيتة وراء مصرع الأميرة ديانا ودودي الفايد. وفي حقيقة الأمر أن الشك بأن هناك نية مبيتة في كلتا القضيتين ليس إلا في حكم أفكار تراود بعضنا. إذ نعلم من شهود عيان أن عدداً آخر من مصوري المشاهير كانوا هناك لحظة وقوع الحادث، ولم يقتصر الأمر على السبعة الذين تم اعتقالهم. هل كان المختفون منهم هم من سببوا الحادث؟ في القاهرة، نشرت صحيفة الأهرام المصرية الواسعة الانتشار عدة مقالات تثير احتمالية أن الأميرة ديانا ودودي الفايد قتلا على يد أشخاص تابعين لمؤسسة الحكم البريطانية للحيلولة دون زواجهما[15].

ولكن لماذا وظفت الشرطة الفرنسية قوة خاصة لمكافحة الإرهاب للتعامل مع حادث طريق، وإن كان المصابون فيه من المشاهير؟ لماذا تأخر نقل الأميرة ديانا إلى مستشفى مجاور لمدة ساعة ونصف الساعة؟ هل كان السبب وراء التأخير هو أن إخراج الأميرة ديانا من السيارة المهشمة استغرق

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

وقتاً طويلاً، أم أن هناك أسباباً أخرى؟ إن الحوادث التي تريح ذوي السلطة من أمر ما ستثير الشبهات على الدوام حول ما إذا كانت حوادث عابرة على الإطلاق؟ قد تكون وفاة الأميرة ديانا ودودي الفايد قضية بسيطة وحادثاً عابراً سببه السرعة الزائدة وأن السائق كان مخموراً علاوة على مطاردة مصوري المشاهير للأميرة حتى لقيت مصيرها المحتوم؛ فالمشاهير كغيرهم من البشر تقع لهم حوادث.

قد يكون هناك رسالة كونية في وفاة الأميرة ديانا تتجاوز المعضلة بين الحظ العاثر والنية المبيتة. ففي العصور القديمة كانت هناك الأميرة هيلين من طروادة، التي كان جمالها «سبباً في انطلاق آلاف السفن وإحراق أبراج إليوم (Ilium)». أما في عصرنا هذا، فهناك الأميرة ديانا أميرة ويلز التي أبكى جمالها وحنانها العالم بأسره. ولنا أن نذكر هنا قول الشاعر ألكسندر بوب من القرن الثامن عشر، والذي يُعد من أسلافها، وقد اقتبسناه سابقاً:

ما الطبيعة إلا الفن الذي نجهله
ما الحظ إلا ما كُتب علينا ولا نبصره
وما الفوضى إلا توافق لا نفهمه
وما الشر في أحد جوانبه إلا خير للبشرية

كانت وفاة الأميرة ديانا في حقيقة الأمر "نصيبها" ولكن أكان ذلك أيضاً "قدرها" الذي قادها ويقود غيرها؟ جاءت وفاة ديانا في لحظة من "الفوضى" ولكن هل حملت في بذورها توافق البشرية؟ إن مصرع الأميرة ديانا غير المقصود كان في الحقيقة حالة من الشر، ولكن هل كان أيضاً بصيص نور لخير البشرية؟ لقد اتّحد العالم في أسبوع من الحزن المشترك، ربما كان ذلك بداية حالة من الأمل.

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

بعد وفاة الأميرة ديانا أضحت رمزاً إلى الديمقراطية الملكية البريطانية في بريطانيا، لقد أضحت بفضل شخصيتها محبوبة عند الشعب، وقد أشعلت وفاتها غضباً عارماً لم تعرفه دولة محافظة بطبيعتها مثل بريطانيا.

وفي الوقت الذي سادت الثيوقراطية في بريطانيا في العلاقة الغرامية التي قامت بين إدوارد الثامن والسيدة واليس سيمبسون، فإن مأساة الأميرة ديانا ودودي الفايد قد جعلت الرأي العام والحساسيات الديمقراطية البريطانية في المقدمة. وأخيراً وليس آخراً، فإن الحملة الإعلامية التي صاحبت مأساة الأميرة ديانا لهي دليل ملموس على بدء عصر المعلومات.

الخاتمة

لقد طرحنا فيما تقدم أن ديمقراطية الحضارة الغربية قد ساعد على وجودها الثالوث المقدس كمبدأ عقائدي للتعددية الإلهية. ومن جهة أخرى، فإن التعددية الدنيوية قد تجاوزت حدودها عندما وقع الغرب في مستنقع الأعمال البربرية والإبادة الجماعية.

أما التوحيد في الحضارة الإسلامية، فقد أكد على توحيدية أكثر تكاملاً، بيد أنها تحولت أيضاً إلى سعي في الدنيا إلى تضامن المسلمين والارتياب بالانشقاق بين المؤمنين؛ فمن جهة، جعل هذا التضامن الديمقراطية أمراً أكثر صعوبة، ومن جهة أخرى، كان الإسلام واقياً ضد البربرية البشرية عندما تتجاوز حدودها. أما العقبة العقائدية الأخرى نحو الديمقراطية في الإسلام فهي النزعة الثيوقراطية، والعلاقة الوثيقة بين الدين والدولة. وقد أخذنا بريطانيا مثالاً لنبين أن العقبة الثيوقراطية يمكن تجاوزها.

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

ما أوضحناه من خلال المثال البريطاني هو أن الثيوقراطية يمكن أن تكون ديمقراطية أولاً من خلال جعل الديمقراطية أكثر قوة، ولاحقاً من خلال جعل الثيوقراطية أكثر ضعفاً. ومع حلول عام 1996، أخذت العائلة الملكية تراجع إذا كان من المعقول أن تحبط زواج كبار أعضائها من الروم الكاثوليك، حتى ولو كان الزواج من مسلمة أمراً مقبولاً على الإطلاق.

أما القضية المطروحة فهي ما إذا كانت الثيوقراطية الإسلامية، مع مرور الوقت، يمكن أن تندمج مع الديمقراطية. هل يمكن أن يقترن التوحيد مع التعددية؟ هل ستكون ثورة المعلومات هي القوة التي ستجمع ما لله مع ما للناس في التجربة السياسية الإسلامية؟ سوف تتضاءل السيادة الوطنية، كما ستقل المسافات حتى تكاد تختفي، كما سيكون من المستحيل أن يكون هناك تمييز بين الجنسين، كما سيصل المسجد والسياسة إلى صيغة تفاهم ديمقراطية. ولن يلجأ المسلمون إلى الثالوث المقدس كطريق إلى التعددية، إلا إذا كان الثالوث يعني المثلث الذي أطرافه التوحيد والاجتهاد والشورى.

ونفترض دائماً أن المسلمين سيكون لهم دور فاعل في ثورة المعلومات، ولن يكونوا مجرد أشياء فيها، وأنهم سيكونون خالقين للمعرفة، لا مجرد متلقين لها. إن قوة المهارة أكثر أهمية من قوة الدخل، ولكن هل يحقق المسلمون تقدماً في تضييق الهوة بين الإسلام والغرب؟ إن دين الهجرة، ودين الحج، ودين المعراج لابد وأن يكون على استعداد للهجرة القادمة؛ وهي طريق المعلومات السريعة.

الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة: صراع أم التقاء؟

الهوامش

1. للاطلاع على السيرة الشيقة لهذه الشخصية المهمة في الإسلام، انظر:
H. A. L. Craig. *Bilal* (London: Quartet Books, 1977).

2. للاطلاع على مراجعة محكمة للصراع الأرمني-التركي، انظر:
Gerard Chaliand and Yves Ternon. *The Armenians: From Genocide to Resistance* (Trans. Tony Berrett) (London: Zed Press, 1983)

3. بعض الأسلحة لاأخلاقية حتى وإن كان استعمالها أحياناً ينقذ الأرواح، فالأسلحة النووية يجب أن تكون لاأخلاقية مثلها مثل القنبلة الجرثومية. وستمتلك بعض الدول الإسلامية قنبلة نووية، ربما بسبب المخاوف الغربية من الإسلام.

4. حول هذه السلالة، انظر:
Sir William Muir, *The Mamluke or Slave Dynasty of Egypt: 1260-1517 A.D.* (London: Smith, Elder and Co., 1896).
ورغم أن مصر كانت تحت الحكم العثماني من عام 1517، إلا أن المماليك حافظوا على وجودهم حتى عام 1811. انظر المرجع السابق، صفحة 223-224.

5. انظر:
Francis Bacon, *Novun Organum* , Aphorism 129 in Fracis Bacon, *Advancement of Learning and Novun Organum* (New York: The Colonial Press, 1899), 366.

6. ألقى فرانسيس روبنسون محاضرة افتتاحية عنوانها "التقنية والتغيرات الدينية: الإسلام وأثر الطباعة" وذلك بتاريخ 4 آذار/ مارس 1992، في (Royal Holloway and Bedford New College)، في جامعة لندن كأستاذ متخصص في تاريخ جنوب آسيا. انظر:
Modern Asian Studies, vol. 27, no. 1 (1993): 229-251.

7. رقم الهاتف المجاني حول الإسلام هو 662-ISLAM (800)-1(الرقم الأخير اختياري).

8. انظر:
Clayton Roberts and David Roberts, *A History of England*, Volume I (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1980), 237-249.

9. المرجع السابق، ص 288.

10. المرجع السابق، ص 281.

11. المرجع السابق، ص 351-380.
12. المرجع السابق، ص 402-405.
13. من الجدير ذكره هنا أنه في فترة مبكرة كان جيمس مسؤولاً عن المبادرة التي أدت إلى فتح نيو أمستردام من الهولنديين في عام 1664 وإعادة تسميتها نيويورك، وذلك تكريماً لجيمس الذي كان دوق يورك حينها.
14. ترجمت المحاضرة منذ ذلك الحين إلى لغات عدة. وقد نشر مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية (أكسفورد) النسختين العربية والإنجليزية من المحاضرة.
15. انظر على سبيل المثال صحيفة **الأهرام** المصرية، 1 أيلول/ سبتمبر 1997.

نبذة عن المحاضر

د. علي الأمين المزروعي

يشغل د. علي الأمين المزروعي منصب مدير معهد الدراسات الثقافية العالمية ومنصب أستاذ كرسي ألبرت شفايتسر (Albert Schweitzer) في العلوم الإنسانية في جامعة نيويورك الحكومية في بينجهامتون. كما أنه أستاذ كرسي ألبرت لوتولي (Albert Luthuli) في جامعة جوس في نيجيريا، وأستاذ كرسي ابن خلدون للعلوم الإسلامية والاجتماعية في ليسبيرج بولاية فرجينيا؛ كما أنه أستاذ فخري لكرسي آندرو وايت (Andrew White) وكبير الباحثين في الدراسات الأفريقية في جامعة كورنل في إثيكا في نيويورك؛ وهو أيضاً أستاذ كرسي والتر رودني (Walter Rodney) في جامعة جويانا، جورج تاون، جمهورية جويانا.

صدر من «سلسلة محاضرات الإمارات»

1 ـ بريطانيا والشرق الأوسط: نحو القرن الحادي والعشرين

مالكولم ريفكند

2 ـ حركات الإسلام السياسي والمستقبل

د. رضوان السيد

3 ـ اتفاقية الجات وآثارها على دول الخليج العربية

محمد سليم

4 ـ إدارة الأزمات

د. محمد رشاد الحملاوي

5 ـ السياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي

لينكولن بلومفيلد

6 ـ المشكلة السكانية والسلم الدولي

د. عدنان السيد حسين

7 ـ مسيرة السلام وطموحات إسرائيل في الخليج

د. محمد مصلح

8 ـ التصور السياسي لدولة الحركات الإسلامية

خليل علي حيدر

9 ـ الإعلام وحرب الخليج: رواية شاهد عيان

بيتر آرنيت

10 ـ الشورى بين النص والتجربة التاريخية

د. رضوان السيد

11 ـ مشكلات الأمن في الخليج العربي
منذ الانسحاب البريطاني إلى حرب الخليج الثانية

د. جمال زكريا قاسم

12 ـ التجربة الديمقراطية في الأردن: واقعها ومستقبلها

هاني الحوراني

13 ـ التعليم في القرن الحادي والعشرين

د. جيرزي فياتر

14 ـ تأثير تكنولوجيا الفضاء والكومبيوتر على أجهزة الإعلام العربية

محمد عارف

15 ـ التعليم ومشاركة الآباء بين علم النفس والسياسة

دانييل سافران

16 ـ أمن الخليج وانعكاساته على دولة الإمارات العربية المتحدة

العقيد الركن/ محمد أحمد آل حامد

17 ـ الإمارات العربية المتحدة «آفاق وتحديات»

نخبة من الباحثين

18 ـ أمن منطقة الخليج العربي من منظور وطني

صاحب السمو الملكي الفريق أول ركن
خالد بن سلطان بن عبدالعزيز آل سعود

19 ـ السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط
والصراع العربي ـ الإسرائيلي

د. شبلي تلحمي

20 ـ العلاقات الفلسطينية ـ العربية من المنفى إلى الحكم الذاتي

د. خليل شقاقي

21 ـ أساسيات الأمن القومي: تطبيقات على دولة الإمارات العربية المتحدة

د. ديفيد جارنم

22 ـ سياسات أسواق العمالة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

د. سليمان القدسي

23 ـ الحركات الإسلامية في الدول العربية

خليل علي حيدر

24 ـ النظام العالمي الجديد

ميخائيل جورباتشوف

25 ـ العولمة والأقلمة: اتجاهان جديدان في السياسات العالمية

د. ريتشارد هيجوت

26 ـ أمن دولة الإمارات العربية المتحدة: مقترحات للعقد القادم

د. ديفيد جارنم

27 ـ العالم العربي وبحوث الفضاء: أين نحن منها؟

د. فاروق الباز

28 ـ الأوضاع الاقتصادية والسياسية والأمنية في روسيا الاتحادية

د. فكتور ليبيديف

29 ـ مستقبل مجلس التعاون لدول الخليج العربية

د. ابتسام سهيل الكتبي

د. جمال سند السويدي

اللواء الركن حيي جمعة الهاملي

سعادة السفير خليفة شاهين المرر

د. سعيد حارب المهيري

سعادة سيف بن هاشل المسكري

د. عبدالخالق عبدالله

سعادة عبدالله بشارة

د. فاطمة سعيد الشامسي

د. محمد العسومي

30 ـ الإسلام والديمقراطية الغربية والثورة الصناعية الثالثة :
صراع أم التقاء؟

د. علي الأمين المزروعي



مـركـز الإمـارات للدراسـات والبـحـوث الاستـراتيـجيـة
The Emirates Center for Strategic Studies and Research
ص. ب : 4567 ـ أبوظبي ـ الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 722776 - 9712+ ـ فاكس: 769944 - 9712+ ـ ail: pubdis@ecssr.ac.ae
http://www.ecssr.ac.ae